العروبة والإسلام

خطة الدراسة:

١- بين يدي الدراسة _ تأملات نقدية.

٢- المصطلحات.

٣- معادن العرب.

٤- العرب في القرآن الكريم.

٥- القومية العربية: النشأة والتطور.

٦- القومية العربية: الأفكار والمعتقدات.

٧- القومية العربية والمراجعات النقدية.

٨- العروبة والإسلام في فقه العلماء المسلمين المعاصرين.

- أولاً: الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله.
- ثانياً: الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله.
- ثالثاً: الشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله.
- رابعاً: الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله.

٩- النتائج والتوصيات.

١٠- المراجع.

١١- الفهرست.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد

يا ربي لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، أحمدك حمد الشاكرين لنعمائك، الراضين بقضائك، وأسألك من فضلك العظيم المغفرة والسداد والتوفيق.

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً، سهل لنا أمورنا واشرح لنا صدورنا وارزقنا الإخلاص لك في سائر أقوالنا وأفعالنا ونياتنا وأحوالنا يا رب العالمين.

اللهم فقهنا في الدين ويسر لنا سبل العلم والتعليم وألهمنا الحكمة في القول والرشد في الرأي والاستقامة على الحق يا أرحم الراحمين.

أولا: بين يدي الدراسة

١ - تأملات نقدية

إن الحديث عن العروبة والإسلام حديث ذو شجون، تتداخل فيه الرؤى وتتعدد فيه النظرات والاجتهادات، وتؤثر في توجيهه البواعث والخلفيات التي ينطلق منها المتحدث والكاتب والمنظّر للموضوع.

كما أن طبيعة المرحلة التي يُتحدث فيها عن هذا الشأن لها آثارها المقدرة على توصيفه وتحديد أبعاده ومراميه وآفاقه.

غير أن جميع ذلك يجب أن يكون وفق الضوابط والموازين الشرعية وأصول البحث العلمي، وفي إطار الثوابت التي تحكم المنظومة الفكرية والثقافية للأمة الإسلامية، والعرب جزء أصيل من هذه الأمة ديناً أو انتماءً حضارياً على أقل تقدير.

ومن هنا فقد مرت هذه القضية – العروبة والإسلام – بمراحل مختلفة ومناخات كانت غاية في الارتباك والارتياب، وخاصة في العصر الحديث الذي ارتفعت فيه رايات الوطنية والقومية العربية لاهثة وراء الفكر الوافد من هنا وهناك منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى نهايات القرن العشرين.

إنها مرحلة الصراع بين التيارات الدينية والتيارات القومية التي تبنت العلمانية منهجاً وسبيلاً بعيداً عن الدين وفطريته وواقعيته ومنهجه الذي تربت عليه الأمة أربعة عشر قرناً، كان وحده الموجه والمربي والمعلم والقائد والراعي لمسيرتها الحضارية الراقية.

واليوم ومنذ نهايات العقدين الأخيرين من القرن العشرين يبدو للناظر في أحوال الأمة أن تغييراً ما قد حدث في الفكر القومي ورجالاته من حيث نظرتهم للإسلام وللتيارات الإسلامية التي أثبتت وجودها في الساحة بعد أن فشلت الشعارات المختلفة التي قادت الأمة قرناً من الزمن أو يزيد.

نعم، يظهر أن تغييراً قد حدث وأن انعطافاً نحو الرشد قد وجد عند الكثيرين من دعاة القومية العربية – وخاصة من هم في صف المعارضة السياسية – .

والأمر في اجتهادي لم يستقر بعد على حالة ثابتة، وإنما هي مرحلة مخاض تعيشها الأمة اليوم، فنرجو لها أن تتمخض عن وعي أصيل ورشد حقيقي يحمل الجميع على التفاهم على الثوابت من القيم والمبادئ التي أوجدت هذه الأمة – العربية والإسلامية – وجعلت لها شأناً في التاريخ القديم والحديث.

إنها أمنية نرقبها عن كثب وندعو الله أن يلهم قومنا السداد في الرأي والعزيمة في الرشد ليقف الجميع على جادة سواء فيعمقوا لهذه الأمة أصالتها ويرتقوا بها في معارج التجديد الواعي الذي يثمر أمجاداً وحضارة كانت ملكنا يوماً ما ثم نزعت منا يوم تقهقرنا وتفرقنا وفقدنا هويتنا وصرنا نلهث وراء السراب.

٢- المبادئ أولاً:

والقضية تعتمد أساساً على تحرير المبادئ والمفاهيم لتنطلق الأمة وفق عقائد راسخة وقيم راقية ومبادئ سامية، تبعث فيها الأمل والحياة وتحملها على التضحية والفداء في سبيل التقدم والانتصار.

٣- لا للمصالح وحدها:

ولا يكفي بحال أن تجتمع الأمة على مصالح متوهمة ولا على خطط تكتيكية مؤقتة، فالمصالح سرعان ما تتبدد وتتلاشى، وعندما يحق الحق يعود الناس إلى قيمهم وأفكارهم ومبادئهم الثابتة، وهي التي تحملهم على الإقدام أو الإحجام.

إننا نسمع هذه الأيام مقولات كثيرة يروج لها أناس يخدمون أعداء هذه الأمة بقصد أو بغير قصد، مقولات تتحدث عن أن الزمن اليوم زمن المصالح لا زمن المبادئ، وأن الناس يلتقون على مصالح تجمعهم بغض النظر عن المبادئ والأفكار التي يحملونها، وأنه علينا أن لا نجمد عقولنا على القديم، ويجب أن نطور من مفاهيمنا لنعيش عصرنا، وإلا فسيتجاوزنا التاريخ... إلى غير ذلك من فلسفات صار يرددها حتى بعض المنتمين إلى التيارات الإسلامية**!!!**

وأقول تجاه ذلك: إن هذه المزاعم والمقولات يتداخل فيها الحق بالباطل، والخطأ بالصواب، وهي مقولات بحاجة إلى تحرير وتمحيص لئلا يتوهم فيها، ولئلا تضيع الأمة وراء ضبابية هذه الأوهام.

وتوضيح ذلك بإيجاز شديد أن نقول: إننا نحن المسلمين نفقه جيداً لغة التعامل مع الآخرين حتى الأعداء منهم، وإنه لا مانع عندنا أن نتعامل مع عدونا وفق مقولة "مصالح بمصالح" لنحقق من وراء ذلك ما يخدم منهجنا وخياراتنا وأهدافنا الكبرى في الحياة.

أما أن نتعامل مع الآخرين وفق مقولة "مصالح بمبادئ" بمعنى أن نطلب تحقيق بعض المصالح مقابل التخلي عن المبادئ والقيم والثوابت فهذا مرفوض ولا كرامة لمن يساومنا عليه.

كل هذا مع أعدائنا الذين نعيش معهم ظروف الصراع والتدافع، أما في المناخ الداخلي – العربي والإسلامي – مناخ الأمة الواحدة والعقيدة الواحدة والقيم الواحدة، أما هنا فلا يجدي الاجتماع على المصالح وحدها أبداً أبداً.

إننا يجب أن تجمعنا المبادئ والعقائد والقيم والثوابت إذا أردنا أن نرقى بأمتنا ونخلصها من تمزقها وجهلها وتخلفها.

إن خيار مصالح بمصالح هو خيار الأعداء زمن الهدنة مهما طالت؛ أما أبناء الأمة الواحدة فخيارهم المجدي أن يكونوا على قلب واحد وفهم واحد وهدف واحد حتى يتم التغيير والإصلاح.

٤ - التقارب بين الإسلاميين والقوميين

وهنا يتساءل المتأمل في مسيرة الحياة اليوم: هل التقارب بين التيارات الإسلامية والقومية تقارب مصلحي ريثما يصل الجميع إلى الغنيمة فيتقاتلون عليها ويشهرون حرابهم لأجلها؟؟ وهنا تقع الكارثة، لاسيما وقد عرف بعضهم بعضاً عن قرب !!

أم أنه تقارب يقوم على الأسس والثوابت؟ وعندها ينتظر منه أن يعيد الأمة إلى رشدها ويعود بها إلى مكانتها الريادية بين الأمم (كنتم خير أمة أخرجت للناس).

إننا من جانبنا نحن – التيار الإسلامي في الأمة – ندعو قومنا وأبناء أمتنا العربية والإسلامية إلى لقاء الأفكار والمبادئ والقيم، ونؤكد لهم أن العروبة والإسلام لا يمكن أن

ينفصما، وأن الإسلام يعرف للعرب فضلهم ومعدنهم وأصالتهم، ويكفي العـــرب فخـــراً أن الإسلام وجد في بيئتهم وانتشر في العالم على أيديهم وبلسانهم.

فلنكن صرحاء من أول الطريق ولننظر للمستقبل من خلال تراكمات الماضي وتعثـــرات الحاضر، ولنتحرر من الأسر الفكري، ومن الولاءات الخفية التي لا تريد لهذه الأمة خيراً، وعند ذلك نكون قد خطونا الخطوة الأولى في الاتجاه الصحيح.

إنني أتوجه بهذا الكلام إلينا جميعاً عرباً ومسلمين، ويوم تصدق النوايا يجمع الله الـــشمل ويوحد الكلمة والصف، ويترل نصره على عباده الصادقين.

وإلا فإن الوقت ثمين، ولا ينبغي إضاعته بالأحلام والأماني التي لا تقدم ولا تؤخر.

والآن إلى بداية دراستنا لقضية العروبة والإسلام مستعينين بالله وحده، فمنه العون والتـــسديد وعليه التوكل والاعتماد، والله أعلم.

ثانيا: المصطلحات

أثبت هنا بعض المصطلحات التي قد تتردد في ثنايا البحث، ليكون القارئ على بصيرة من دلالاتها اللغوية أو معانيها المشتهرة بين الناس اليوم.

_ جاء في القاموس المحيط في مادة "عرب" المعاني التالية:

- العرب: خلاف العجم، وهم سكان الأمصار.
- والأعراب: سكان البادية.
- وعربي: بيّن العروبة.
- والإعراب: الإبانة والإفصاح
- والتعريب: تهذيب النطق واللحن.
- وعروبة: وباللام (العروبة) يوم الجمعة.
- والعربة: النهر الشديد الجري، وأقامت قريش بعربة فنسبت العرب إليها، وهي باحة العرب - وباحة دار أبي الفصاحة إسماعيل عليه السلام.
- ويَعرُب بن قحطان: أبو اليمن، قيل أول من تكلم بالعربية.
- وتَعَرَّب: أقام في البادية.
- وعروب: اسم السماء السابعة. [1]

_ وجاء في المصباح المنير في مادة "قوم" المعاني التالية:

- أقام في الموضع لإقامة اتخذه وطناً فهو مقيم.
- والقوم: جماعة الرجال ليس فيهم امرأة، والجمع أقوام، وسموا بذلك لقيامهم العظائم والمهمات.
- وقوم الرجل: أقرباؤه الذين يجتمعون معه في جد واحد. [2]

---

١. القاموس المحيط للفيروز آبادي، مادة العرب جـ١ ص١٠٦.
٢. المصباح المنير للفيومي، مادة "قوم" ص ٧١٤.

- الجاهلية: جاء في لسان العرب لابن منظور: هي الحالة التي كان عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله سبحانه ورسوله وشرائع الدين، والمفاخرة في الأنساب والكبر والتجبر، ووردت بمعنى السفه وهو ضد الحلم. [1]

_ والعروبة في اللغة المعاصرة: هي القومية العربية، والهوية العربية، أي كل ما يميز العرب ويعطيهم هويتهم.

_ والعربي بتعبير دقيق: هو من كانت لغته العربية وعاش في الأرض العربية، أو تطلع إلى الحياة فيها، وآمن بانتسابه إلى الأمة العربية. [2]

_ الشعوبية: بضم الشين هي احتقار أمر العرب، وهم الشعوبيون. [3]

---

[1]. لسان العرب لابن المنظور، مادة "جهل"

٢. المادة العاشرة من المبادئ العامة في دستور حزب البعث العربي الاشتراكي الذي أقره مؤتمره التأسيسي عام ١٩٤٧، نقلا عن كتاب عروبة الإسلام وعالميته لمؤلفه شبلي العيسمي ص ٢١.

٣. القاموس المحيط مادة "الشعب" جـ١ ص ٩١.

ثالثا: معادن العرب

الناس معادن، والمعادن منها النفيس والثمين، ومنها التافه والرديء، ومعدن العرب بين الأجناس في مقام الصدارة والنفاسة، وهذا الأمر قد عده علماؤنا المسلمون أصلاً من أصول أهل السنة والجماعة التي تميز جماهير الأمة الإسلامية عن أهل الأهواء والغثائية من الناس.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إن الذي عليه أهل السنة والجماعة اعتقاد أن جنس العرب أفضل من جنس العجم، وأن قريشاً أفضل العرب .... وليس فضل العرب ثم قريش ثم بني هاشم بمجرد كون النبي صلى الله عليه وسلم منهم، - وإن كان هذا من الفضل – بل هم في أنفسهم أفضل، .... ولا نقول بقول الشعوبية وأراذل الموالي الذين لا يحبون العرب ولا يقرون بفضلهم فإن قولهم بدعة وخلاف. [1]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم، ثم خيّر القبائل فجعلني في خير قبيلة، ثم خيّر البيوت فجعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً. [2]

والأحاديث النبوية الشريفة الواردة في هذا المعنى كثيرة جداً منها:

- عن وائلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم". [3]

- عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا سلمان، لا تبغضني فتفارق دينك. قلت: يا رسول الله كيف أبغضك وبك هداني الله؟ قال: تبغض العرب فتبغضني". [4]

---

١. "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم" لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ص ١٤٨- ١٤٩.
٢. رواه الترمذي وقال حديث حسن.
٣. رواه مسلم وأحمد والترمذي.
4. رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب.

- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحب العرب لثلاث: لأني عربي، والقرآن عربي، ولسان أهل الجنة عربي" قال الحافظ السلفي: هذا حديث حسن. [١]

لا للعنصرية

هذا هو المنهج الإسلامي في بيان مكانة العرب وفضلهم على غيرهم، ولكن لا يعني ذلك أن العرب ينالون هذا الشرف لمجرد عروبتهم، بل إنها القيم والشيم والأخلاق، فحيثما وجدت وجد الفضل وحيثما تخلفت تخلف.

وليس من الأدب أن يتطاول الناس على بعضهم بناء على تفضيل بعضهم على بعض، وفي هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنه أوحي إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد". [٢]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فنهى الله سبحانه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم عن نوعي الاستطالة على الخلق، وهي الفخر والبغي، ولأن المستطيل إن استطال بحق فقد افتخر، وإن كان بغير حق فقد بغى، فلا يحل لا هذا ولا هذا؛ لأن فضل الجنس لا يستلزم فضل الشخص فرب حبشي أفضل عند الله من جمهور قريش. [٣]

ويقول رحمه الله: "وما ذكرنا من حكم اللسان العربي وأخلاق العرب يثبت لمن كان كذلك، وإن كان أصله فارسياً، وينتفي عمن لم يكن كذلك وإن كان أصله هاشمياً. [٤]

نعم، هكذا شأن الإسلام في منهجيته وهديه، كله توسط واعتدال وواقعية بعيداً عن الغلو والتطرف في الفهم، والمهم في هذا الدين الجوهر لا العرض، والحقيقة لا الدعوى.

---

١. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم " لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ص ١٥٨
٢. رواه مسلم.
٣. اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٦٤- ١٦٥.
٤. المرجع السابق.

رابعا: العرب في القرآن الكريم

لقد ورد ذكر العرب في القرآن الكريم في آيات كثيرة ومتعددة، مما يشعر بفضلهم وسر اختيارهم لحمل رسالة الإسلام، ومن هذه الآيات:

١- قال الله تعالى: (إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون). [١]

٢- قال الله تعالى: (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين). [٢]

٣- قال الله تعالى: (وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق). [٣]

٤- قال الله تعالى: (وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً). [٤]

٥- قال الله تعالى: (لقد أنزلنا إليكم كتاباً في ذكركم أفلا تعقلون). [٥]

٦- قال الله تعالى: (قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون). [٦]

٧- قال الله تعالى: (كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون). [٧]

٨- قال الله تعالى: (وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها). [٨]

٩- قال الله تعالى: (إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون). [٩]

١٠- قال الله تعالى: (ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً). [١٠]

١١- قال الله تعالى: (وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تُسألون). [١١]

---

١. سورة يوسف الآية ٢.
٢. سورة النحل الآية ١٠٣.
٣. سورة الرعد الآية ٣٧.
٤. سورة طه الآية ١١٣.
٥. سورة الأنبياء الآية ١٠.
٦. سورة الزمر الآية ٢٨.
٧. سورة فصلت الآية ٣.
٨. سورة الشورى الآية ٧.
٩. سورة الزخرف الآية ٣.
١٠. سورة الأحقاف الآية ١٢.
١١. سورة الزخرف الآية ٤٤.

إنها آيات بينات تحمل في ثناياها كل معاني العظمة التي يحملها هذا الكتاب العربي المبين، قرآناً عربياً، لسان عربي، حكماً عربياً، كتاباً فيه ذكركم وشرفكم، وهو ذكر لك ولقومك وسوف تسألون.

إنها الإشارات والدلالات التي لا تحتاج إلى شرح ولا استطراد، وفيها الكفاية لمن تدبر وعلم وعقل لبيان مكانة العرب في الإسلام.

رسول عربي، ولسان عربي، وحكم عربي؛ وفي جميع ذلك شرف للعرب يغبطون عليه، ولم يغمطهم فيه أحد من المسلمين على مر التاريخ لا سابقاً ولا لاحقاً ولا ماضياً ولا حاضراً.

ألا ليت العرب فقهوا دورهم وعرفوا قدرهم وحققوا الآمال التي يعلقها المسلمون في العالم عليهم كما فعلوا يوم حملوا هذا الكتاب العربي العظيم بصدق، وفتحوا به العالم قلوباً وأرضاً تاريخاً وجغرافية وحضارة.

إنها الحكمة التي يحتاجها العرب اليوم أكثر من أي وقت مضى "لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها".

خامسا: القومية العربية _ النشأة والتطور

لقد بدأت الروح القومية في العرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كان ذلك جراء عنجهية الأتراك وصيحتهم بالطورانية.

وكانت الشام أسرع العرب تأثراً بالفكرة القومية، حيث كانوا ينادون بإنشاء مملكة عربية.

غير أن السلطان عبد الحميد رحمه الله أفشل تلك الخطة بإظهاره اللين للعرب، ومن أجل أن يشكل وحدة قوية ضد الغرب.

وهنا فر بعض الشاميين إلى مصر هرباً من السلطان عبد الحميد من جهة، وبتشجيع من الإنجليز من جهة ثانية، وكانت مصر يومها ترزح تحت الاحتلال الإنجليزي.

وفر بعضهم إلى فرنسا التي تشجع مسيحيي الشرق وتظهر الوقوف لجانبهم دائماً.

وكان ممن فر إلى مصر: عبد الحميد الزهراوي، وعبد الرحمن الكواكبي، ومحمد رشيد رضا، ومحب الدين الخطيب.

وممن توجه إلى فرنسا: نجيب عازوري صاحب كتاب "يقظة الأمة العربية" وقد طبع في باريس عام ١٨٩٥م.

وشكلت جمعية عربية في باريس تحت اسم " الجمعية الوطنية العربية" عام ١٨٩٥.

وفي عام ١٩٠٥ نشبت الثورة العربية في اليمن والحجاز ضد الأتراك والخلافة العثمانية، وكانت بداية ومقدمة لإعلان الثورة العربية الكبرى.

وفي عام ١٩٠٨م أُسقِط السلطان عبد الحميد رحمه الله، وأطيح به وفق مؤامرة كان منظروها يهود الدونمة وسالونيك، ومنفذوها علمانيو حزب الاتحاد والترقي الأتراك.

وبسقوط السلطان عبد الحميد رحمه الله انتهت السياسة الإسلامية، واندفع الاتحاديون في سياسة التتريك.

وكانت ردة الفعل العربية الجمعيات السرية في الشام والعراق لجانب نشاط المبعدين إلى مصر وفرنسا.

ولما بدأت نذر الحرب العالمية الأولى، تحالف الأتراك مع الألمان رغبة في تحقيق مجدهم الطوراني إذا تحقق لهم النصر.

وهنا يسجل للخليفة محمد رشاد أنه عارض هذا التحالف، وأعلن الجهاد ضده، ولكن أحداً لم يستجب له لأن دور الخليفة قد حجم وضيق عليه من قبل الاتحاديين تمهيداً لإلغاء الخلافة.

مصر تجمع شتات دعاة الحركة العربية

إن معظم الكتاب عن العربية في تلك المرحلة كانوا يتصورونها تصوراً إسلامياً، ويعملون لنقل الخلافة إلى العرب بعد أن أصابها ما أصابها بسقوط السلطان عبد الحميد رحمه الله، والذي يقرأ لهم يحس أن الفكرة الإسلامية لا تغيب عنهم أبداً.

وذلك بخلاف الذين لجؤوا إلى باريس، فقد كانوا عرباً ضد أتراك بكل أبعاد هذه الكلمة.

فهذا عبد الرحمن الشهبندر الزعيم السوري: إنه لا يعني الشرقُ عنده إلا العرب، ولا يعني العرب عنده إلا المسلمون، ولا تعني الحضارة العربية في نظره شيئاً غير الحضارة الإسلامية. [1]

وهذا مصطفى صادق الرافعي رحمه الله يقول: "والذي أراه أن نهضة هذا الشرق العربي لا تعتبر قائمة على أساس وطيد إلا إذا نهض بها الركنان الخالدان الدين الإسلامي، واللغة العربية". [2]

وهناك اتجاهات أخرى تفهم العربية فهماً قومياً وطنياً معادياً للإسلامية مثل حزب الوفد، ومعظم نصارى لبنان، وعندما يتحدث هؤلاء عن الشرق يعنون به اليابان.

يقول الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله: أخطر من الاحتلال الأجنبي الذي قطع أوصال العرب هو قناعة العرب بهذه الخطوط الوهمية وتقديسهم لها.

وقد ركز هذه القناعة أمور أهمها:

- إحياء التاريخ القديم لكل قطر على حدة.
- إيجاد أعياد محلية وطنية غير إسلامية.

---

١. نجلة الهلال العدد ١ لسنة ٤٢، نوفمبر ١٩٣٣م، نقلا عن الاتجاهات الوطنية لمحمد محمد حسين جـ٢ ص ١١٧
٢. المرجع السابق عدد نوفمبر ١٩٢٢م.

ورغم كل هذا فقد ظل للجامعة الإسلامية دعاتها وعلى رأسهم مجلة المنار ورئيسها الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله؛ وكذلك شكيب أرسلان وأحمد شوقي وغيرهم رحمهم الله.

وبعد ...

فتلك جولة سريعة في ظروف نشأة القومية العربية والبواعث والخلفيات التي كانت وراءها.

وغير خاف على أحد الآثار التي ترتبت على هذه الدعوات التي انتهت بـــالحرب الأولى، وتم بعدها أعظم حدثين في تاريخ هذه الأمة هما:

١- إلغاء الخلافة الإسلامية.

٢- وقيام الكيان الصهيوني في فلسطين.

زيادة على تمزق الأمة الإسلامية والعربية وتقطيع أوصالها لتكون دويلات ومقاطعات خاضعة بدورها للأسياد الإنجليز والفرنسيين، ولا تملك لنفسها ولا لغيرها من الأمر شيئاً.

سادسا: القومية العربية: الأفكار والمعتقدات

لقد وضح لنا من خلال الصفحات السابقة أن الحركة العروبية في منتصف القرن التاسع عشر وإلى نهاية الحرب العالمية الأولى كان لها اتجاهان اثنان:

الأول: كان اتجاهاً إصلاحياً إسلامياً يتبنى العودة بالخلافة الإسلامية إلى العرب بعد أن تخلى الأتراك في آخر عهدهم عن التمثيل الصادق لدور الخلافة الإسلامية وخاصة بعد السلطان عبد الحميد رحمه الله.

الثاني: كان اتجاهاً عنصرياً يتبنى الدعوة إلى العربية لغة وتاريخاً مقابل الطورانية التركية التي كانت تتحكم بالعالم العربي باسم الإسلام.

كما تبين لنا من الفقرات السابقة أن الإنجليز والفرنسيين كان لهم دور بارز في إحداث الوقيعة بين العرب والأتراك لتحقيق مصالحهم وللسيطرة على العالم الإسلامي بعد القضاء على الخلافة الإسلامية وهذا ما تم لهم بالفعل، بعد أن خانوا عهودهم مع الزعماء العرب الذين أغروهم بالانفصال عن الخلافة العثمانية مقابل التاج العربي من المحيط إلى الخليج.

أما بعد الحرب الأولى وسقوط الخلافة الإسلامية:

فقد تغلب التيار العنصري على التيار الإسلامي بين العروبيين، وقامت للقومية العربية فلسفتها التي تجعل منها عدواً لدوداً للإسلام، وقد استطاع هذا التيار أن يمزق الأمة شر تمزيق، وبعد أن كان العرب جزءاً واحداً من الخلافة الإسلامية إذا بالقوميين العرب يمزقون هذا العالم إلى اثنين وعشرين جزءاً لكل جزء منه علمه ورايته وشعاره؛ ونشبت الصراعات بين أبناء الوطن العربي تبعاً للتيارات الحزبية المتعددة الولاءات للشرق أو للغرب، فالاشتراكيون والليبراليون والقوميون السوريون والشيوعيون والتقدميون والرجعيون والإقليميون والقطريون.... إلى غير ذلك من الألقاب والأسماء التي أوهنت الأمة ومزقتها، بل وسلمتها إلى أعدائها بدون حرب ولا قتال.

وسوف أذكر هنا عناوين من الأفكار والمعتقدات التي تبناها دعاة القومية العربية، لنتصور مدى الشقة التي أحدثوها بينهم وبين جماهير الأمة الإسلامية والعربية التي تدين بالإسلام وتفخر به وتعتز به.

ولا بد من التنويه إلى أن معظم القوميين العرب الذين يتحملون وزر هذه الثقافات والأفكار المستوردة إنما كانوا من النصارى، ونصارى لبنان وسوريا على وجه الخصوص، ثم عم البلاء بعد ذلك ليشمل سائر القوميين بغض النظر عن المسمى الذي يحملونه، إسلاماً أو نصرانية أو وثنية أو إلحاداً، فقد تبنى الجميع العلمانية التي هي فصل الدين عن الحياة، وكانوا هم زعماء الحياة، وتركوا الدين للرجعيين والدراويش والمتخلفين عقلياً كما يزعمون.

نعم، هذه هي الروح التي سادت كثيراً من أصقاع الوطن العربي في بدايات القرن العشرين، وخصوصاً بعد الحرب العالمية الأولى، وخاصة بعد الاستقلال وحتى النكبة التي فجع بها زعماء القومية العربية الأمة في حرب حزيران عام ١٩٦٧م، والتي لم تنته آثارها بعد.

وحتى لا أستطرد كثيراً، أتوقف لأذكر أهم الأفكار والمعتقدات القومية في تلك الفترة:

١- أساس الرابطة التي تقوم عليها القومية العربية هي رابطة اللغة والدم والتاريخ والآمال والآلام، أما رابطة الدين فهي تمزق الأمة العربية وبالتالي فهي مرفوضة عندهم.

٢- يدعو القوميون إلى تحرير الإنسان العربي من الخرافات والغيبيات والأديان ...

٣- عزل الدين عن الحياة، وشعارهم في هذا الشأن هو "الدين لله والوطن للجميع".

٤- الوحدة العربية حقيقة – بزعمهم – أما الوحدة الإسلامية فهي حلم ... !!!

٥- العبقرية العربية عبرت عن نفسها بأشكال شتى: شريعة حمورابي، الشعر الجاهلي، الإسلام... وهذا يعني أن الإسلام ليس ديناً ربانياً عندهم.

٦- إذا كان لكل عصر نبوته المقدسة فإن القومية نبوة هذا العصر.

٧- إن العروبة هي دين العرب مسلمين ومسيحيين، لأنها وجدت قبل الإسلام وقبل المسيحية.[١]

تلك ملامح من أفكار القومية العربية إبان انتشارها وازدهارها، وإن كانت اليوم تعيش مرحلة انحسار وتراجع، بل تجاوز الأمر ذلك إلى حالة من النقد والمراجعات الفكرية والسياسية وخاصة بعد الفشل الذي منيت به القومية العربية في ميدان الحياة العامة والسياسية والاقتصادية بشكل خاص، وهذا ما أشير إليه في الفقرة التالية.

---

١. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي، جـ١ ص ٤٥٠.

سابعا: القومية العربية والمراجعات النقدية

فيما سبق من صفحات هذا البحث اتضح لنا صورة القومية العربية نشأة وتطوراً وأفكاراً ومعتقدات.

غير أنه يلاحظ في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، وخاصة العقد الأخير منه، يلاحظ توجه جديد عند القوميين العرب، وكأنهم يعيشون حالة مراجعات نقدية لمسيرتهم المتعثرة ولأسباب كثيرة، ولعل أهمها إفلاس الشعارات التي رفعوها سابقاً "وحدة، حرية، اشتراكية" و "أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة"، فلم يعد يصدق أحد من الشارع العربي – فضلاً عن الصفوة والنخب الواعية – أياً من هذه الشعارات لأنها لا حقيقة لها ولا واقعية ولا مصداقية، فأين الوحدة؟ وأين الحرية؟ وأين الاشتراكية؟ وما هي الرسالة الخالدة عندهم؟ وأين هي اليوم؟

وحتى أسلوب خطاب القوميين مع الآخرين بدا عليه تغيير وطراوة غير معهودة، فمن مرحلة التشكيك والاتهام وتبني سياسات العزل والإقصاء للآخر، إلى أسلوب لدى البعض منهم – وخاصة من يعيشون حالة المعارضة السياسية للأنظمة الحاكمة – أسلوب الحوار مع الآخر، ومنهم التيارات الإسلامية، بل يسارع بعضهم إلى طرح مقولات تعدل من مواقفهم السابقة من الدين ومن الإسلام على وجه الخصوص، بحيث بدأ هذا البعض يظهر قبوله بالإسلام مرجعية حضارية للأمة على الأقل، بل وجد من يمتدح الإسلام والقرآن أحياناً.

ومن الأمثلة على ذلك ما كتبه أحد أبرز دعاة القومية العربية شبلي العيسمي عضو القيادة القومية في حزب البعث العربي الاشتراكي في كتابه المسمى "عروبة الإسلام وعالميته".

فهذا الكتاب يعد تطوراً في الفكر القومي رغم أنه كتب من زاوية فهم كاتبه للإسلام، وكتابه هذا مليء بالأفكار المغلوطة والقراءات غير الصحيحة لهذا الدين، إلا أنه يعد توجهاً وانعطافاً جديداً في الفكر القومي، ومن المقولات التي تؤكد هذا التوجه الجديد في الكتاب قول مؤلفه: "لولا ظهور الإسلام وتوحيد القرآن للهجات في جزيرة العرب لزادت الفرقة والانقسامات القبلية، ولتباعدت اللهجات لتشكل عقبة في طريق الوحدة السياسية ....

وهكذا فالإسلام حقق للعرب وحدة العقيدة ثم الوحدة السياسية، وعززها بتوحيد الثقافة والفكر عن طريق القرآن الكريم الذي صان اللغة العربية وحفظ وحدتها ووجودها، ووسع انتشارها حتى تجاوزت العرب إلى شعوب أخرى آمنت بالإسلام. [1]

بل يزيد العيسمي تأكيده على عظمة الإسلام ودوره في الحياة فيقول: أجل، لقد كان القرآن لغة وعقيدة الدرع الذي تحطمت عليه سهام الجهل والتخلف ومحاولات الاستعمار للفصل بين العروبة والإسلام. [2]

حقاً إنها كلمات جديدة على ما عهد من أفكار القوميين العرب في خمسينيات القرن العشرين.

ومن مظاهر التحول الجديد عند القوميين العرب توجههم للحوار مع الإسلاميين للوصول إلى قواسم مشتركة يتبناها الجميع ويتخذوا منها منهجاً للتغيير والإصلاح السياسي؛ وهذه خطوة جديدة أيضاً وهي باعث تفاؤل إن كانت تعتمد على تغيير المبادئ الخاطئة وتبني المفاهيم والمبادئ الصحيحة، لا مجرد تكتيك سياسي يتبنى الخطاب المصلحي المؤقت للوصول إلى أهداف مرحلية يتم بعدها عودة ما كان إلى ما كان.

وكلامي هذا موجه لكلا التيارين، القومي والإسلامي جميعاً وبآن واحد، ولعل هذه الكلمة خير ما أختم به هذه الفقرة من الدراسة.

---

١. عروبة الإسلام وعالميته، شبلي العيسمس ص ١١٢.
٢. المرجع السابق ص ١١٤.

ثامنا: العروبة والإسلام في فقه العلماء المسلمين المعاصرين

بعد الحديث عن العروبة والإسلام، وعن القومية العربية نشوءاً وتاريخاً وأفكاراً ومعتقدات، وتجديداً ومراجعات؛ بعد كل ذلك لا بد من قراءة مواقف الإسلاميين المعاصرين وفقههم من تلك القضية التي عايشوا تطوراتها وما مرت به من منعطفات ومتغيرات.

وسوف أذكر هنا فقه مجموعة من العلماء الربانيين المعاصرين الذين لهم آثارهم في فقه الواقع ومتابعة المستجدات والمتغيرات وحركة الحياة ومسيرتها المتجددة؛ وهم أعلام في هذا الميدان لا يجهلهم أحد ممن يعيش هذا العصر ويواكب مسيرته وتطوراته.

أولاً: الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله:

هذا الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله رائد الحركة الإسلامية المعاصرة ومجددها يعلن فهمه وفقهه للوطنية والقومية العربية التي افتتن فيها كثير من الناس في العصر الحديث وحادوا بها، بل أخرجوها عن سياقها التاريخي الذي استقر في مفهوم المسلمين عبر العصور عن العلاقة الوطيدة بين العروبة والإسلام.

يقول رحمه الله في رسالته لإخوانه المسلمين الموسومة باسم "دعوتنا" والتي يوضح فيها الموقف الإسلامي من الدعوات المختلفة التي تعج بها الساحة في بدايات القرن العشرين، يقول ما نصه: افتتن الناس بدعوة الوطنية تارة والقومية تارة أخرى وبخاصة في الشرق، حيث تشعر الشعوب الشرقية بإساءة الغرب إليها إساءة نالت من عزتها وكرامتها واستقلالها وأخذت من مالها ودمها، وحيث تتألم هذه الشعوب من هذا النير الغربي الذي فرض عليها فرضاً، فهي تحاول الخلاص منه بكل ما في وسعها من قوة ومنعة وجهاد وجلاد، فانطلقت ألسن الزعماء، وسالت أنهار الصحف، وكتب الكاتبون وخطب الخطباء وهتف الهاتفون باسم الوطنية وجلال القومية. [1]

ثم يتابع رحمه الله في حوار هادئ وواع مع دعاة الوطنية فيقول: إن كان دعاة الوطنية يريدون بها حب هذه الأرض وألفتها والحنين إليها والانعطاف نحوها، فذلك أمر مركوز في فطر النفوس من جهة، مأمور به في الإسلام من جهة أخرى، وإن بلال الذي ضحى بكل

---

١. مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله ص ١٧.

شيء في سبيل عقيدته ودينه هو بلال الذي كان يهتف في دار الهجرة بالحنين إلى مكة في أبيات تسيل رقة وتقطر حلاوة:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوادٍ و حولي إذخر و جليل؟

و هل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل

ولقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف مكة "أصيل" فجرى دمعه حنيناً إليها وقال: يا أصيل دع القلوب تقر.

- وطنية الحرية والعزة:

وإن كانوا يريدون أن من الواجب العمل بكل جهد في تحرير البلد من الغاصبين وتوفير استقلاله له وغرس مبادئ العزة والحرية في نفوس أبنائه، فنحن معهم في ذلك أيضاً، وقد شدد الإسلام في ذلك أبلغ التشديد فقال تبارك وتعالى: (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون).

- وطنية المجتمع:

وإن كانوا يريدون بالوطنية تقوية الرابطة بين أفراد القطر الواحد وإرشادهم إلى طريق استخدام هذه التقوية في مصالحهم فنحن نوافقهم فيه أيضاً، ويراه الإسلام فريضة لازمة، فيقول نبيه صلى الله عليه وسلم: "وكونوا عباد الله إخواناً"، ويقول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون). [1]

- وطنية الفتح:

وإن كانوا يريدون بالوطنية فتح البلاد وسيادة الأرض فقد فرض ذلك الإسلام، ووجه الفاتحين إلى أفضل استعمار وأبرك فتح، فذلك قوله تعالى: (فقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله). [2]

---

١. سورة آل عمران الآية ١١٨.
٢. سورة الأنفال الآية ٣٩.

- وطنية الحزبية:

وإن كانوا يريدون بالوطنية تقسيم الأمة إلى طوائف تتناحر وتتضاغن وتتراشق بالسباب وتترامى بالتهم ويكيد بعضها لبعض ... فتلك وطنية زائفة لا خير فيها لدعاتها ولا للناس ...

- حدود وطنيتنا:

أما وجه الخلاف بيننا وبينهم فهو أننا نعتبر الحدود الوطنية بالعقيدة، وهم يعتبرونها بالتخوم والحدود الجغرافية ... [1]

بعد هذا الحوار الهادئ مع دعاة الوطنية ينتقل الإمام الشهيد للحوار مع دعاة القومية بمفهومها الأشمل والأوسع من الوطنية، فيقول رحمه الله تحت عنوان "القومية":

- قومية المجد:

إن كان الذين يعتزون بمبدأ القومية يقصدون به أن الأخلاف يجب أن ينهجوا نهج الأسلاف في مراقي المجد والعظمة ومدارك النبوغ والهمة وأن تكون لهم بهم في ذلك قدوة حسنة، وأن عظمة الأب مما يعتز به الابن ويجد لها الحماس والأريحية بدافع الصلة والوراثة فهو مقصد حسن وجميل نشجعه ونأخذ به ... ولعل الإشارة إلى هذا في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا".

- قومية الأمة:

وإن قصدت بالقومية أن عشيرة الرجل وأمته أولى الناس بخيره وبره وأحقهم بإحسانه وجهاده فهو حق كذلك...

لعمري لرهط المرء خير بقية عليه وإن عالوا عليه كل مركب

- قومية الجاهلية:

أما أن يراد بالقومية إحياء عادات جاهلية درست، وإقامة ذكريات بائدة خلت ... والتحلل من عقدة الإسلام ورباطه بدعوى القومية والاعتزاز بالجنس ... فذلك في القومية معنى ذميم وخيم العاقبة سيء المغبة، يؤدي بالشرق إلى خسارة فادحة يضيع معها تراثه وتنحط بها منزلته ويفقد أخص مميزاته وأقدس مظاهر شرفه ونبله ...

---

١. مجموعة رسائل الإمام حسن البنا ص ١٨-١٩.

- قومية العدوان:

وأما أن يراد بالقومية الاعتزاز بالجنس إلى درجة تؤدي إلى انتفاض الأجناس الأخرى والعدوان عليها ... كما تنادي بذلك ألماني وإيطاليا مثلاً ... فهذا معنى ذميم كذلك، ليس من الإنسانية في شيء، ومعناه أن يتناحر الجنس البشري في سبيل وهم من الأوهام، لا حقيقة له ولا خير فيه.

- دعامتان:

نحن لا نؤمن بالقومية بهذه المعاني ولا بأشباهها ولا نقول فرعونية وعربية وفينيقية وسورية، ولا شيء من هذه الألقاب والأسماء التي يتنابز بها الناس.

ولكننا نؤمن بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى...".

- خواص العروبة:

ولسنا مع هذا ننكر خواص الأمم ومميزاتها الخلقية، فنحن نعلم أن لكل شعب مميزاته وقسطه من الفضيلة والخلق، ونعلم أن الشعوب في هذا تتفاوت وتتفاضل، ونعتقد أن العروبة لها من ذلك النصيب الأوفر، ولكن ليس معنى هذا أن تتخذ الشعوب هذه المزايا ذريعة إلى العدوان.[1]

موقف الإخوان من الوحدة العربية

يقول الإمام الشهيد رحمه الله:

فالإخوان المسلمون يحبون وطنهم ويحرصون على وحدته القومية بهذا الاعتبار، ولا يجدون غضاضة على أي إنسان أن يخلص لبلده وأن ينفى في سبيل قومه وأن يتمنى وطنه كل مجد وكل عز وكل فخار...

ثم إن الإسلام الحنيف نشأ عربيا ووصل إلى الأمم عن طريق العرب وجاء كتابه الكريم بلسان عربي مبين، وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان يوم كان المسلمون مسلمين، وقد جاء في الأهر " إذا ذل العرب ذل الإسلام " وقد تحقق هذا المعنى يوم ذل سلطان العرب السياسي وانتقل الأمر من أيديهم إلى غيرهم من الأعاجم، فالعرب هم عصبة الغسلام وحراسه

١. مجموعة رسائل الإمام حسن البنا ص ٢٠-٢٢. بتصرف ويسير

وأحب أن أنبه إلى أن الإخوان المسلمين يعتبرون العروبة كما عرفها النبي صلى الله عليه وسلم: ألا إن العربية اللسان ألا إن العربية اللسان.

ومن هنا كانت وحدة العرب أمرا لا بد منه لإعادة مجد الإسلام وإقامة دولته وإعزاز سلطانه، ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها.[1]

وأكتفي إلى هنا بهذا النقل الطويل نظراً لأهميته وخاصة وهو يصدر عن أبرز وألمع الدعاة المعاصرين، وهو مرشد كبرى الحركات الإسلامية العالمية المعاصرة رحمه الله وأجزل له المثوبة.

ثانياً: الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله:

ومن المغرب العربي، بل من الجزائر نستطلع رأي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله الذي قاد حركة علمية جهادية تحريرية كان من آثارها استقلال الجزائر عن الاستعمار الفرنسي الذي دام ١٣٢ عاماً متواصلة، وبعد أن قدم الشعب الجزائري المسلم مليوناً ونصف مليون من الشهداء، يقول هذا العالم الرباني والعلم الشامخ والمجاهد الصادق:

حق على كل مسلم يدين بالإسلام ويهتدي بهدي القرآن الكريم أن يعتني بتاريخ العرب ومدنيتهم وما كان من دولهم وخصائصهم قبل الإسلام؛ ذلك لارتباط تاريخهم بتاريخ الإسلام، ولعناية القرآن الكريم بهم ولاختيار الله لهم لتبليغ دين الإسلام وما فيه من آداب وحكم وفضائل إلى أمم الأرض، وما كان الله ليحمل هذه الرسالة العظيمة لغير أمة عظيمة، إذ لا ينهض بالجليل من الأعمال إلا الجليل من الأمم والرجال، ولا يقوم بالعظائم إلا العظام من الناس .[2]

ثالثاً: الشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله:

الشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله كان من علماء الشام ورجالاته الذين هاجروا إلى مصر في بدايات القرن العشرين ليجد فيها المكان الأرحب لنشر العلم والوعي ولإحياء الشعوب المسلمة التي خيم عليها الجهل وتداعت عليها الأمم لتزع هويتها واستلاب خيراتها

---

١. مجموعة رسائل الإمام الشهيد ص ١٧٦.
٢. آثار ابن باديس مجلد ٢ جـ٢ ص ٥٩، نقلا عن كتاب عروبة الإسلام وعالميته لشبلي العيسمي ص ١٣.

ومقدراتها، فكان رحمه الله علماً من أعلام الإسلام، ورائداً من رواد الفكر الإسلامي، وها هو يدلي بدلوه في بيان الموقف الصحيح والفقه والوعي لطبيعة العلاقة بين العروبة والإسلام فيقول رحمه الله:

وبعد فإن الخلفاء الراشدين ورجال الدولة في زمن بني أمية كانوا يعهدون بلواء الإسلام إلى السواعد العربية تخوض به الآفاق شرقاً وغرباً، وإلى الألسنة العربية تدعو إليه بادية وحاضرة، فكانت الدولة على اتصال بجزيرة العرب تغذي الجيش من فتيانها وتعنى بأحوال أهلهم في ربوعهم وبين جبالهم، وتوسد الأمر في الأقطار إلى النوابغ من عقلائهم وحكمائهم، فكان الإسلام غضاً في جزيرة العرب، وهدايته معمولاً بها تحت الخيمة وفي بيت الشعر وبين جذوع النخل.

فما برح الإسلام بذلك منصوراً، وممالكه بازدياد، والناس يدخلون في دين الله شعوباً وأمماً إلى أن استدار الزمان مرة أخرى فجرى الخلفاء من بني العباس الاعتماد على أهل السياسة والحمية الدنيوية من الفرس في إقامة دعائم ملكهم، ولم يكن أهل السياسة والدنيا منهم كما كان أهل التقوى والدين، فأبدت المجوسية نواجذها، ورغم الفتك بأبي مسلم فإن الحال ظلت على ذلك إلى زمن أمير المؤمنين المعتصم فأخذ دفة السفينة من أيدي الفرس وسلمها إلى أيدي غلمانه من الترك فنهض من شر واحد ووقع في شرين، لأن للفرس سابقة وحضارة ليس لهؤلاء وسلمها. [1]

رابعاً: الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله:

أما الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله فهو ذلك العالم الرباني الذي عايش تطورات الحركة العروبية من بداياتها وحتى احتدام الصراع بين دعاتها وبين الإسلاميين في منتصف القرن العشرين، وكان رحمه الله عالم دمشق وقاضيها وخطيبها المفوه وأديبها المصقع، وها هو يدلي بدلوه في هذا الشأن – العروبة والإسلام – فيقول:

---

١. مسائل الجاهلية للشيخ محمد بن عبد الوهاب وع شرحها للشيخ محمود شكري اللآلوسي وتقديم الشيخ محب الدين الخطيب رحمهم الله ص٤.

نحن لا ننكر الدعوة إلى العروبة، إنها دعوتنا نحن معشر المسلمين، وكل داع للإسلام داع لها، وهذه أمم الأعاجم من الفرس والترك والهند والصين ما الذي علمهم العربية وحبب إليهم أهلها إلا الإسلام؟

وكل دعوة إلى العروبة دعوة إلى الإسلام إذ ما العرب وما الإسلام؟ وما العرب لولا محمد صلى الله عليه وسلم؟

لولا محمد لبقي العرب أمة بدوية جاهلة لم يدر بها التاريخ و لم تحس بها الحضارة.

إنه لم يكن في قريش – وهم أكمل العرب – لما بعث فيهم محمد صلى الله عليه وسلم إلا أحد عشر رجلاً وامرأة واحدة يكتبون، والباقون أميون.

فبنى العرب بعد الإسلام عروبة دمشق وبغداد وقرطبة والقاهرة، وكان محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي لقنهم كلمة العربية لم يكونوا يعرفونها قبله، هاتوا شاعراً واحداً فخر بالعرب من حيث هم عرب، إنما كان فخرهم بالقبيلة بكراً أو تغلباً أو عبس أو ذبيان ...

إنها أمة واحدة ذات رسالة خالدة، وما رسالتها إلا رسالة الله .[1]

١. فصول إسلامية للشيخ علي الطنطاوي رحمه الله ص ١٦.

تاسعا: النتائج والتوصيات

بعد هذه الدراسة المتواضعة لموضوع "العروبة والإسلام"، أود أن أسجل أهم النتائج والتوصيات التي تستفاد من هذه الدراسة لعلها تكون منارات يهتدي بها السائرون في طريق التغيير والإصلاح من الإسلاميين والعروبيين إن شاء الله.

١- الإسلام والعروبة كالروح والجسد لا يمكن الفصل بينهما.

٢- الإسلام دين رباني للناس جميعاً ومرجعية حضارية لغير المسلمين وخاصة العرب منهم.

٣- الناس معادن، ومعدن العرب في مقام الصدارة والنفاسة فوق الجميع.

٤- فضل العرب والعروبة يبنى على القيم والشمائل لا على الجنس والدم واللغة، فحيثما وجدت القيم الرفيعة – والإسلام جوهرها – وجد الفضل، وحيثما تخلفت القيم تخلف الفضل تبعاً لذلك.

٥- القرآن الكريم والسنة النبوية تؤكد فضل العرب وتميزهم عن غيرهم.

٦- القومية العربية وجدت متأثرة بالدعوات القومية الغربية، وردة فعل على عنجهية الطورانية التركية.

٧- كان للغرب – والإنجليز خصوصاً – دورهم في زرع الفكر القومي عند العرب والأتراك لأجل القضاء على الخلافة الإسلامية وتمزيق العالم الإسلامي والسيطرة عليه واستلاب خيراته ومقدراته.

٨- تبنت القومية العربية فكراً مضاداً للإسلام وساخراً منه ولفترة طويلة بعد نشأتها وانتشارها في العالم العربي.

٩- هناك مراجعات نقدية عند التيار القومي – ومن هم في صف المعارضة السياسية خصوصاً – تجعلهم أكثر انفتاحاً وألين خطاباً وأقرب تفكيراً إلى التيار الإسلامي.

١٠- الأمل أم يكون التقارب بين التيار الإسلامي والقومي والعروبي تقارباً حقيقياً التفافاً حول الثوابت التي عاشت عليها الأمة الإسلامية والعربية خلال أربعة عشر قرناً من الزمن، لا مجرد تكتيك سياسي مرحلي مصلحي.

وأخيراً، إن الأحوال التي تعيشها أمتنا اليوم في بدايات القرن الواحد والعشرين تحتم على الجميع التفاهم والتعاون الجاد للوقوف في وجه تيارات العولمة وغطرسة الغرب التي تهدد وجود أمتنا العربية والإسلامية، ولن تقف عند استلاب هويتنا وخصوصيتنا الحضارية والسيطرة على خيراتنا ومقدراتنا الاقتصادية.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المـــراجـــــع

- القامو المحيط للفيروز آبادي
- المصباح المنير للفيومي
- لسان العرب لابن منظور.
- عروبة الإسلام وعالميته لشبلي العيسمي
- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر لمحمد محمد حسين
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة.
- مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله
- مسائل الجاهلية للشيخ محمد بن عبد الوهاب
- فصول إسلامية للشيخ علي الطنطاوي رحمه الله

الفـــهـــــرس

الموضوعات **الصفحات**

_ خطة الدراسة ١
_ المقدمة ٢
_ بين يدي الدراسة- تأملات نقدية ٣
- المبادئ أولا ٤
- لا للمصالح وحدها ٤
- التقارب بين الإسلاميين والقوميين ٥
_ المصطلحات ٧
_ معادن العرب ٩
_ العرب في القرآن الكريم ١١
_ القومية العربية النشأة والتطور ١٣
_ القومية العربية الأفكار والمعتقدات ١٨
_ القومية العربية والمراجعات النقدية ٢٠
_ العروبة والإسلام في فقه العلماء المسلمين المعاصرين ٢٢
- أولا: الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله ٢٢
- ثانيا: الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله ٢٦
- ثالثا: الشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله ٢٦
- رابعا: الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله ٢٧
_ النتائج والتوصيات ٢٩
_ المراجع ٣١
_ الفهرس ٣٢